بيع وعتق رقاب الجاريات
فى العصر الإسلامى

فى ضوء نصوص البرديات العربية

بقلم

سعيد مغاورى محمد

أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية المساعد
رئيس قسم الإرشاد السياحى – كلية السياحة
جامعة المنوفية

بيع وعتق رقاب الجاريات فى العصر الإسلامى فى ضوء نصوص البرديات العربية

تمهيد:-

عرفت المصادر العربية الجارية بأنها الأمة لجريها مستسخرة فى أشغال مواليها، والأصل فيها الشابة لخفتها، ثم توسعوا حتى سموا كل أمة جارية وإن كانت عجوزًا لا تقدر على السعى تسمية بما كانت عليه، والجمع فيهما الجوارى[١].

ومن ناحية أخرى أوضحت أيضا بعض المعاجم العربية معنى كلمة (الرق) بمعنى المملوك وجمعها "رقيق" [٢]، كما عرفها أيضا صاحب "المصباح المنير" بقوله: "الرِق بالكسر العبودية، وهو مصدر رق الشخص يرق من باب ضرب فهو رقيق، ويطلق الرقيق على الذكر والأنثى وجمعه أرقاء، وقد يطلق على الجمع أيضا فيقال عبيد وليس فى الرقيق صدقة أى فى عبيد الخدمة"[٣].

أيضا أرى أنه من الضرورى التمييز بين مصطلح "رقيق" أو "عبد" slave وبين مصطلح "قن" serf، وبالتالى بين مصطلح "عبودية" Slavery ومصطلح "قنانة" serfdom فالرقيق يرغم على القيام بعمل إجبارى غير مشروع، تتفاوت مشقته وقسوته حسب رغبة سيده، وتربطه فى أغلب الأحيان علاقة أبدية بمالكه، كما أن وضعه لا يسمح

---

(١) أحمد بن محمد المقرئ: المصباح المنير ـ طبعة مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٨٧م ص ٣٨.
(٢) الرازى (محمد بن أبى بكر الرازى): مختار الصحاح طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٤٥ هـ/ ١٩٣٦م ص ٢٥٣.
(٣) المقرئ: المصدر السابق ص٩٠.

له بأن يطالب بأن يوفر له قدر معقول من التأمين والحماية ضد هذا الاستخدام غير المشروع من جانب مالكه.

أما "القن" فهو حالة أنصاف الأحرار وأشباههم، أيضا ظهرت فروقًا جوهرية بين الرقيق والقن، فالرقيق يتحول بالاسترقاق إلى مال يتصرف فيه مالكه، مثلما يتصرف فى ممتلكاته فله أن يبيعه أو يؤجره، وأن يرهنه وأن يوصى به، وفى حالة وفاته تؤول إلى سيده ممتلكاته، إن كان يملك شيئا، كما تؤول إليه كذلك زوجته وأطفاله، فالرقيق لا يحصل على مقابل لخدماته، بل إنه فى الشرائع القديمة "قبل الإسلام" كان يحرم من حقه فى الحياة ومن حقه فى الزواج، ولكنه كان يستكثر بالتوالد كالأنعام، ولم يكن نسله ينسب إليه، وإنما كان هذا النسل ينسب للسيد، على حين أن "القن" لم يكن مملوكًا لمالك، ولا هو سلعة تباع وتشترى، كما أن له حقوقًا وولايته على ممتلكاته الشخصية وكذلك على زوجته وأطفاله معترفًا بها، وإذا مات مالك الأرض التى يعمل فيها "القن" أو قام هذا المالك ببيعها، فإن الوريث أو المالك الجديد يملك الأرض ولا يملك "القن"[١].

الرق فى العصر الإسلامى

عرف العرب الرق قبل الإسلام وكان بعضهم يمارس تجارة الرقيق بنوعيه الأبيض والأسود، وكان الرقيق الأبيض عندهم مختلف الأجناس وإن كان أقل أهمية من حيث العدد من الرقيق الأسود. جدير بالذكر أن المتاجرة بالرقيق الأبيض عند العديد من القبائل العربية كانت لها جذورها القديمة، فقد كانوا يشترون السبى من العبرانيين[٢] ويستوردونه من فلسطين، ثم ينقلونه إلى بلادهم للاستفادة منه فيتخذون الإماء الجميلات زوجات لهم والقويات للخدمة، ويكلفون الذكور من الرقيق بالأعمال المختلفة التى تحتاج إلى قوة وذكاء ومهارة وفن. ولعل الدليل على ذلك ما ورد فى الإصحاح الثالث من التوراة فى قوله: "وابيع بنيكم وبناتكم بيد بنى يهودا ليبيعوهم للسبئيين لأمة بعيدة، لأن الرب قد تكلم"[٣].

---

(١) د. أحمد فؤاد بليغ: مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفيه الثالثة ـ طبع المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة. ٢٠٠٣م ص٣٠ ـ ٣١.

(٢) د. توفيق بن عامر: الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع ـ طبع كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ تونس ١٩٩٦م ص ٢٨.

(٣) التوراة ـ الإصحاح الثالث (٨) يوئيل.

جدير بالذكر أيضا أن العديد من القوافل التجارية العربية التى كانت تجوب بلاد اليمن والشام فى رحلتى الصيف والشتاء التى وردتا فى سورة (قريش) فى قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾[١] صدق الله العظيم.

كانت هذه القبائل والوفود التجارية تعود بالعديد من الأسارى البيض من أصل فارسى أو رومى لتبيعهم فى بعض المدن بالحجاز، وكانت هذه العمليات التجارية يمارسها تجار الرقيق، وذلك منذ قصة يوسف عليه السلام والتى كشفت عن بيع سيدنا يوسف ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[٢].

ولقد استمرت تجارة الرقيق إلى قبل ظهور الإسلام بسنوات قليلة، وقد ساعد على نشاط هذه السلعة دور قبيلة قريش التجارى آنذاك، حيث كانت تقوم بدور الوسيط التجارى بين البلدان الواقعة شمالى الجزيرة العربية وبين عرب الجنوب، كما كان للإمارات العربية الواقعة شمال الجزيرة العربية والمواليه للسلطة الفارسية والرومية مثل إمارة الغساسنة والمناذرة[٣].

ولم يكن الرقيق الأبيض عند العرب قبل الإسلام من أصل عجمى فحسب، بل كان لديهم رقيق عربى الأصل ناشئ من غارات القبائل على بعضها بعضًا، وقد يكون لهذا الرقيق مصادر أخرى غير الغارات إلا أنه لا حجة لدينا على وجود استرقاق بسبب الديون أو على بيع الأطفال من قبل عائلاتهم سوى بعض الأخبار التى أوردها صاحب كتاب "الأغانى" والتى لا يمكن اعتبارها مستندًا قطعيا لأنه يوردها فى سياق المعاملات التى كانت تعتبر مستكرهه[٤].

أمثلة على الرقيق لدى العرب

من أبرز الأمثلة على وجود الرقيق الفارسى "الأبيض" لدى العرب ـ سلمان الفارسى وصهيب الرومى ـ فسلمان الفارسى كان من أهل أصبهان، وأن أباه كان دهان قريته،

---

(١) سورة قريش "القرآن الكريم".
(٢) القرآن الكريم ـ سورة يوسف. آية رقم (٢٠).
(٣) د. توفيق بن عامر: المرجع السابق ص٢٨.
(٤) مقال للمستشرق برنشفيك Brunschvig عن "عبد" دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص٢٥.

وتذكر الروايات التاريخية أنه انتقل إلى الشام، ثم اتصل بنفر من بنى كلب كانوا تجارًا فأعطاهم بقره وغنمه على أن يحملوه إلى بلاد العرب.

فلما وصلوا به إلى وادى القرى ظلموه وباعوه إلى يهودى من بنى قريظه فاشتراه منهم وحمله إلى المدينة المنورة[١].

ومما يروى أيضا أن سالمًا مولى أبى حذيفة بن عتبة .. أصله من إصطخر وكان مملوكًا لبثينه امرأة أبى حذيفة[٢]، جدير بالذكر أيضا أن المناذرة بالحيرة كان لهم حظًا من هذا الرقيق، وكان فى قصورهم مغنون ومغنيات يجلبونهم ويغالون فى أسعارهم[٣].

ومن ناحية أخرى أورد المؤرخ البلاذرى روايات تشير إلى وجود الرقيق الأبيض عند العرب، وذكر منهم الأزرق والدنافع بن الأزرق الخارجى، وقد كان عبدًا روميا حدادًا. كما أورد أيضًا ذكرًا لعبد رومى بالطائف يقال له عبيد تزوج سمية أمة الحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب[٤].

كما أورد ابن هشام فى سيرته ذكرًا لغلام كان رفيقًا لعتبة وشيبة ابنى ربيعة يقال له "عداس" وكان نصرانيًا من منطقة نينوى[٥].

كذلك تشير بعض المصادر العربية إلى رواج القيان الروميات فى بلاط الغساسنة، وقد وصف حسان بن ثابت مجلسًا من مجالس جبلة بن الأيهم أيام كان أمير الغساسنة فقال: "لقد رأيت عشر قيان: خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط وخمس يغنين غناء أهل الحيرة أهداهن إليه إياس بن قبيص وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها"[٦].

جدير بالذكر أيضا أن مكة المكرمة "بلد الله الحرام" كان بها عددًا لا بأس به من العبيد، حيث كانت بمكة المكرمة جالية من تجار الروم والأقباط يجلبون إليها عدة بضائع

---

(١) ابن هشام: سيرة ابن هشام طبع مصر سنة ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤م ص ١٤٢.
(٢) جورجى زيدان: تاريخ المدن الإسلامى ـ الجزء ٤ ص٢١.
(٣) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ص٢١٦.
(٤) البلاذرى: أنساب الأشراف ص٤٨٩ ـ ٤٩٠..
البلاذرى، فتوح البلدان ج١ ص٦٥.
(٥) ابن هشام: المصدر السابق ج١ ص٢٦٢.
(٦) الأصفهانى: الأغانى ج١٦ ص٢٦ طبعة بيروت سنة ١٩٥٦م.

ومنها الرقيق وكانت تفرض عليهم الضرائب والعشور[١]، وقد اتخذ بعض هؤلاء الروم موالى من أشراف مكة مثل: نسطاس مولى صفوان بن أمية ويوحنا مولى صهيب الرومى، وكان صهيب نفسه قد أسر بأرض الروم فاشترى منهم ثم أسلمهم[٢]. وتدل أخباره على وجود أمثاله من أسرى الروم عند العرب وعلى طريقة اقتنائهم[٣]. ويروى أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أطلق على صهيب الرومى "سابق الروم" كما أطلق على بلال الحبشى "سابق الحبشة". جدير بالذكر أن صهيب الرومى كان مولى لعبد الله بن جدعان حسب ما تذكره بعض الروايات وكان رجلاً أحمرَ شديد الحمرة، اشترته قبيلة كلب ثم باعته بمكة المكرمة[٤].

أما بالنسبة للنساء ، فهناك سمية أم عمار بن ياسر التى كانت مولاة لأبى حذيفة ابن المغيرة عم أبى جهل وقد قتلها أبو جهل بعد الإسلام فاعتبرت أول شهيدة فى الإسلام[٥]. ويذكر عنها أنها كانت تركية الأصل وقعت فى الأسر خلال الحروب التى دارت بين الترك والفرس، ثم طوحت بها الانتقالات إلى مدينة الطائف[٦] فاستقرت بها فترة من الزمن قل أن تأتى إلى مكة المكرمة.

ولقد احتوت العديد من نصوص البرديات العربية وبعض أوراق الكاغد معلومات بالغة الأهمية عن بيع وعتق وتجارة الرقيق فى العصر الإسلامى ـ بداية من القرن الهجرى الأول حتى نهاية القرن الخامس ـ الحادى عشر الميلادى. أغلب هذه النصوص محفوظ فى العديد من المجموعات العالمية ، وعبر هذه الدراسة سنتناول نماذج مختارة منها.

بيع وعتق الرقاب فى نصوص بعض البرديات العربية وأوراق الكاغد

هناك العديد من نصوص ووثائق عتق ورقاب الجاريات وكذلك أوراق الكاغد المعنية ببيع وشراء الجاريات والعبيد فى العصر الإسلامى خلال القرون الأولى للهجرة.

---

(١) الأزرقى: أخبار مكة طبع مكة المكرمة ١٣٥٢ هـ ج١ ص١٠١، قطب الدين النهروالى: الإعلام بإعلام بيت الله الحرام تحقيق وستنفلد Wustenfeld طبع ليبزج leipzig سنة ١٨٥٧م ص ٥٠.

(٢) ابن هشام: المصدر السابق ج١ ص٢٨٠ ـ طبعة القاهرة ١٩٥٥م.

(٣) د. توفيق بن عامر: المرجع السابق ص٢٩.

(٤) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٠ ـ ١٦.

(٥) السهيلى "أبو القاسم": الروضى الأنف ج١ ص٢٠٣.

(٦) البلاذرى: أنساب الأشراف ص٤٨٩.

من هذه الوثائق النادرة ـ ورقة كاغد محفوظة حاليا فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ـ تحمل رقم سجل (p.cairo, Mus.isl.21191) [1] مؤرخة بشهر ربيع الأول سنة ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م. أطوالها ٣١ × ١٥ سم تكشف هذه الوثيقة استقدام الجاريات من منطقة القرم فى آسيا إلى المنطقة العربية، وكذلك وجود وصف كامل لهذه الجارية (فهى سوداء إلى الحمرة)، ثم هى (معتدلة القامة) إلى غيرها من الصفات التى سيرد ذكرها فى نص الوثيقـة. أيضا ورد بالوثيقة معلومات عن سعر وبيع هذه الجارية ولقد وصل سعرها إلى (٢٥ دينارًا) ـ ثم يلاحظ وجود عدد (٧) شهود حضروا بيع هذه الجارية.

نص الوثيقة

١ – وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، الحمد لله أسأله رحمة من عنده وتوفيقا . ثبتت.

٢ – بسم الله الرحمن الرحيم اشترت بمصر

٣ – فاطمة ابنة نصر المنجج من أحمد بن عمران الطحان

٤ – ساكن بالموقف بالطحانين جارية فى يديه مقرة له

٥ – بالملك تدعا توفيق قرمية سودا إلى الحمرة معتدلة

٦ – القامة كشفا نايتة الجبهة بلجا عينا فطسا غليظة

٧ – الشفتين مثقوبة السفلى منهما قصيرة الذقن منكسر

٨ – الثمن خمسة وعشرين دينارًا معزيه الجعل منها تقابضا

٩ – وتفرقا عن تراض منهما بيع الإسلام وعهدته طهارة

١٠ – وسلامه برى البايع من سماجة يديها ورجليها وشيب

١١ – رأسها وقلع أضراسها وذلك يوم الخميس لثمان

١٢ – خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وثلثمايه

١٣ – شهد بذلك أحمد بن سعد المعنى وعلى بن الغريب

١٤ – وميمون بن نصر المؤدب وموسى بن اسحق الجوهرى

---

(١) لوحة رقم (١).

١٥- وحجاج بن أحمد وخلف بن خلدون وعلى بن بشر الصفدى.

وثيقة رقم (٢)

هذه الوثيقة محفوظة فى مجموعة (ميخائيل شارتا) برقم سجل (Cp.cam.Mich. ch.Bö48)، أطوالها ٥,١٢×٥,٥سم، يلاحظ أن نص هذه الوثيقة جاء خاليا من الأوصاف التى سبق ذكرها فى الوثيقة السابق ذكرها. فلم يرد وصف جسمها ولا هيئتها وإنما ورد جنسها فهى (نوبية) ـ أو (عجمية)، ثم ورد ذكر سعرها وهو (٥,١٦) دينار.

أيضا ورد ذكر اسم السيدة التى اشترت هذه الجارية وهى سيدة اسمها (عالية ابنة الحسين).

نص الوثيقة

١- حسبى الله وكفى
٢- بسم الله الرحمن الرحيم
٣- هذا ما اشترى أبو
٤- عيسى بن محمد لعاليه
٥- ابنة الحسين بهالها
٦- وسمها من أحمد
٧- المغربى جارية سودا
٨- عجمية الثمن ستة
٩- عشر دينار ونصف
١٠- بيع البراه من كل عيب
١١- ظاهر وباطن وذلك
١٢- فى شوال سنة
١٣- .... عشر والحق
١٤- لا جنون ولا غش ولا
١٥- دعوا ... فيه.

٣ـ وثيقة بيع جارية سوداء نوبية

هـذه الوثيقـة النـادرة محفـوظ حاليـا فـى مجمـوعـة (لونـد) بفـرنسـا برقـم سجـل (p.lond.inv.oV.4684) أطوالها ٢٦ × ٢١سم كشفت هذه الوثيقة معلومات عن شراء بعض الأقباط للجاريات وفق شريعة الإسلام، مع وجود عدد (٤) شهود مسلمين على عقد بيع هذه الجارية النصرانية ووصفت بأنها "وصيفة عجمية".

نص الوثيقة

١- بسم الله الرحمن الرحيم
٢- هذا ما اشترى مينا بن جرجة التطونى من عيسى بن إسماعيل الأوابى المزنى
٣- (اشترى منه وصيفة) سودا نوبية عجمية بثلاثة عشر دينارا معسولة
٤- (عز) يزيه وتضمن عيسى بن إسماعيل لمينا بن جرجه لا نهب ولا سرقة
٥- بيع المسلم من المسلم لا [عدة فيه ولا] شرط قبض عيسى بن (إسماعيل).
٦- من مينا بن جرجة جميع الثمن تامًا وافيًا وهى ثلاثة عشر دينارا وقبض مينا بن جرجة
٧- هذه الوصفية العجمية وهى يوم ايز نصرانية وذلك يوم السبت
٨- لسبع ليل خلون من شهر رمضان الجارى فى سنة اثنين وسبعين وثلثماية
شهد إبراهيم بن هرون بن حسان على إقرار البايع والمشترى بجميع ما فيه وكتب بخطه
٩- شهد على بن رزق بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب بخطه
١٠- شهد عبد الصمد بن يونس (بجميع ما فى) هذا الكتاب وكتب بخطه
١١- شهد عبد الرحمن بن المبارك بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب بخطه.

٤ـ وثيقة عتق رقبة جارية نصرانية

هذه الوثيقة النادرة محفوظة حاليا فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ مؤرخة فى شهر رمضان سنة ٣٩٣ هـ..

نص الوثيقة

١- هذا الكتاب صحيح وكتب إبراهيم بن ....
٢- بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله
٣- تقول أسطور هيوه ابنت سرجه بن أبليده فى صحة عقلها و

٤- بدنها وجواز أمرها طايعه غير مكره ولا مجبره طيبة
٥- بذلك نفسها صحيحة البدن كاملة العقل أنها اعتقت
٦- صفراه بالعربية واسمها بالقبطية دجاشه ابنت
٧- أرنيه جارية أسطور هيوه اعتقت هذه الصبية
٨- عتاقة العبيد من مواليهم وملكت نفسها فمتا إدعا
٩- ولد لاسطور هيوه أو أحد من تركتها على هذه الصبية
١٠- دجاشه بشيء بعد هذا الكتاب بشيء من الخدمة أو شيء
١١- من المملكة فدعواه باطل وزور وإفك وعدوان
١٢- وكتب ذلك فى سلخ رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلثماية
١٣- شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيدا
١٤- شهد الحسن بن إبراهيم بن على بن جبريل بن الحسن بن رائق
١٥- بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب بخطه
١٦- شهد عبد الرحمن بن الشارك بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب بخطه
١٧- شهد فضالة بن على بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب
١٨- بخطه.

لوحة رقم (١)

لوحة رقم (٢)

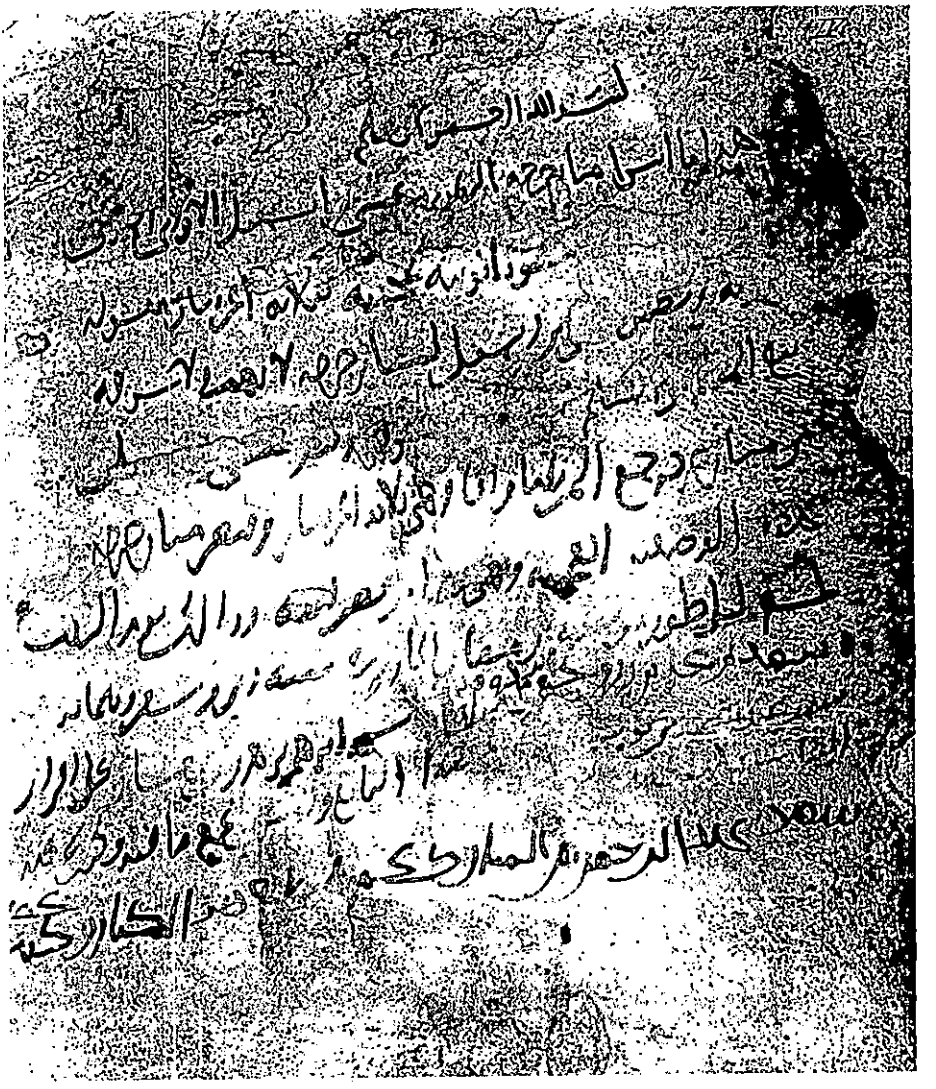

لوحة رقم (٣)